

## النهاية المأساوية للبنان



فيه المشرق العربي كله. لكن ما لا مفر من التوقف عنده أن لبنان كان صيغة ناجحة إلى حد كبير. لا يبدو مستقبله مرتبطاً بالوضع الإقليمي فحسب، بل يبدو هذا المستقبل رهن قيام دولة مركزية أو لامركزية لا وجود فيها لجيشين أيضاً. إذا كان من عبء يمكن استخلاصها من الوصايات التي من فيها لبنان، فإن هذه العبء تقيده بان لا دولة بوجود جيشين، أي الجيش اللبناني وميليشيا "حزب الله" التي يوجد رئيس للجمهورية وصل بفضلها إلى قصر بعبدا، رئيس للجمهورية لا يريد معرفة لماذا كان تفجير مرفأ بيروت ومن المسؤول عن ذلك...

وجامعات في مستوى عالمي ونظام مصرفي متطور... ويحكمه دستور يفرض تغيير رئيس الجمهورية كل ست سنوات.

نعم، صمد لبنان طويلاً قبل أن يتلقى الضربة القاضية مع تفجير مرفأ بيروت. ما هو لافت للنظر في الذكرى السنوية الأولى لتلك الكارثة، ذلك التذكير باتفاق القاهرة عبر صواريخ أطلقت من جنوب لبنان في اتجاه مستوطنة كريات شمونة الإسرائيلية. كل ما يعنيه ذلك أن لبنان ليس سوى "ساحة". استخدم الفلستيني هذه الساحة في مرحلة معينة امتدت من 1969 إلى 1982. أصبح لبنان بعد ذلك منطقة نفوذ سورية - إيرانية حتى 26 نيسان - أبريل 2005 تاريخ انسحاب الجيش السوري. ما لبث أن سقط تحت النفوذ الإيراني بعدما استطاعت "الجمهورية الإسلامية"، ملء الفراغ الذي خلفه الجيش السوري وأجهزته الأمنية المختلفة.

انتهى لبنان دولة فاشلة على كل المستويات وفي كل الميادين بعدما عزل نفسه عن محيطه العربي. ليس ما يؤكد ذلك أكثر من الصواريخ التي أطلقت في اتجاه كريات شمونة على الرغم من وجود الجيش اللبناني والقوات الدولية في المنطقة ووجود القرار الرقم 1701 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والذي أوقف حرب صيف 2006 التي كانت نقطة تحول أساسية في اتجاه وضع "حزب الله" يده على لبنان.

يتحدث رئيس الجمهورية الراضى لتشكيل حكومة إلى المجتمع الدولي رافضاً أخذ العلم بأن إيران تبعث برسائل عبر جنوب لبنان. هناك رئيس للجمهورية وعد سابقاً بكشف حقيقة تفجير مرفأ بيروت في غضون خمسة أيام، فيما كان كل همّة في مرحلة ما بعد التفجير قطع الطريق على أي تحقيق دولي. كان مثل هذا التحقيق كفيلاً، مهما طال، في توضيح العوامل التي أدت إلى تفجير ما بقي من نيترات الأيونوم المخزنة منذ العام 2013 في أحد عنابر مرفأ بيروت...

إلى أين سيذهب لبنان بعد الفشل الذي تركز في مرحلة ما بعد تفجير مرفأ بيروت وفي ظل رفض رئيس الجمهورية تشكيل "حكومة مهمة" على حد تعبير الرئيس الفرنسي و"ذات" صلاحيات كاملة "حسب ما تؤكد الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي؟

الأکید أن لبنان الذي عرفناه لم يعد موجوداً. هناك أسئلة كثيرة ولكن لا أجوبة تتعلق بمستقبل بلد عليه البحث عن صيغة جديدة ونظام سياسي جديد. لقد نجح ميشال عون الذي أوصله "حزب الله" إلى قصر بعبدا مع صهره جبران باسيل في تدمير النظام والعلاقة بين رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء، ركز على كيفية القضاء على دستور الطائف بحسناته وسيئاته.

يصعب التكهّن بطبيعة النظام الجديد في لبنان، لكن ليس ما يمنع الاعتراف بأن كائناً ما سيولد من لبنان القديم، ما طبيعة الكائن الجديد الذي سيظل يحمل اسم لبنان؟

تستحيل ولادة كائن أو كيان دولة قابلة للحياة في المدى المنظور. لا بد من انتظار نهاية المخاض الذي يمر

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

دفع لبنان ثمن حروبه الداخلية وحروب الآخرين على أرضه، وهي حروب مستمرة منذ العام 1969، تاريخ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم الذي كان بداية النهاية للوطن الصغير. لن ينقذه توبيخ الرئيس إيمانويل ماكرون للطبقة السياسية اللبنانية وفشلها في تشكيل حكومة. قبل أن يباشر ماكرون الإعداد للكلمة التي القاها في المؤتمر الدولي، كان يُفترض به أن يسأل ما الذي يمكن توقعه من بلد رئيس الجمهورية فيه ميشال عون ويحكمه عملياً "حزب الله"، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني؟

لبنان لا ينفذه سوى تغيير جذري في موازين القوى يزيح عنه الهيمنة الإيرانية التي حولت البلد إلى أرض طاردة لشعبها الذي سرقت أمواله وصار يبحث عن خبز ودواء... وكهرباء!

أن يصمد لبنان كل هذه السنوات قبل أن يبدأ رحلة الانهيار الكامل يُعتبر إنجازاً بحد ذاته. لن ينقذ لبنان مؤتمر دولي، على النسق الذي دعت إليه فرنسا. لا ينقذ لبنان سوى تغيير جذري في موازين القوى في المنطقة يزيح عنه الهيمنة الإيرانية التي أوصلت إلى كارثة مرفأ بيروت وقبيلها إلى انهيار النظام المصرفي... وإلى تحويل لبنان أرضاً طاردة لشعبها الذي سرقت أمواله وصار يبحث عن خبز ودواء... وكهرباء! لا يعكس النهاية المأساوية للبنان أكثر من الكلمة التي القاها رئيس

الجمهورية والتي تحدث فيها عن سعيه إلى تشكيل حكومة لبنانية، فضلاً عن كلام إنشائي. يقول ذلك في الوقت الذي يتأكد يومياً أنه وضع كل العراقيل لمنع تشكيل مثل هذه الحكومة. فعل ذلك طوال تسعة أشهر كان فيها سعد الحريري رئيساً مكلفاً بتشكيل الحكومة. مازال يفعل ذلك مع نجيب ميقاتي...

الذي كان في استطاعته لو شكّل حكومة قبل الذكرى السنوية الأولى لتفجير مرفأ بيروت توجيه كلمة فيها جملة مفيدة أو أكثر إلى المؤتمر الدولي. كان يمكن لميقاتي إلقاء كلمة على علاقة بما يمرّ به لبنان بدل كلمة ميشال عون التي تكشف أن الرجل يعيش في عالم آخر لا علاقة له لا بلبنان ولا بالمنطقة ولا بالعالم لم يعد يوم الرابع من آب - أغسطس 2020، يوم تفجير مرفأ بيروت وتدمير جزء من عاصمة لبنان. إنه يوم إعلان نهاية لبنان. كل ما يمكن قوله بعد سنة كاملة على الكارثة إنه لم يبق شيء من لبنان الكبير الذي أعلن عنه في أول أيلول - سبتمبر 1920. عاش لبنان قرناً كاملاً. هذه معجزة إذا أخذنا في الاعتبار كل ما تعرّض له على يد ابنائه أولاً الذين لم يعرفوا قيمة العيش في بلد آمن ومزدهر فيه حريات عامة

الأمن وحده لا يكفي  
لدحر الإرهابيين في سيناء

تجلت معالم التوجهات الجديدة في شقين، أحدهما خارجي وركز على سد المنافذ البرية والبحرية ومعالجة قصة الإنفاق المرهقة والمتشعبة التي شيدت وتسلسل منها إرهابيون وأسلحتهم، والتوصل إلى تفاهات أمنية مع حركة حماس الفلسطينية تم بموجبها تحمل جزء معتبر من عملية منع تهريب البشر والأسلحة القادمة من غزة.

والشق الآخر داخلي وقصد منه تخفيف المعاناة عن أهالي سيناء الذين تعاطفوا قسراً أو قهراً مع التكفيريين، وجرى تنفيذ مجموعة من الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية كي تنتهي عزلة الأهالي عن الجزء الغربي من الدولة المصرية، فقد لعبت جغرافية سيناء وتاريخها كساحة للحروب دوراً في عدم الاهتمام بسكانها بدرجة كافية.

قلم الاقتراب من معالجة أوجه القصور، بالتوازي مع التحركات الأمنية الحاسمة، أطراف الكثير من التظاهرات التكفيرية التي يكاد وجودها يقتصر على عمليات متباعدة زمنياً مقارنة بما كانت عليه قبل ثلاثة أعوام، لكنها تثير في مجملها إلى أن المتطرفين لا يزالون قادرين على الفعل.

تتطوى العملية الإرهابية التي وقعت قبل أيام في شمال سيناء على إشارة توحى بان هؤلاء لم يتم القضاء عليهم، وهو هدف دعائي يعملون على تكريسه لتسويق فكرة أن قبضة الأمن المصري رخوة ولن تتمكن من قطع دابرهم والفترة المقبلة يمكن أن تشهد عمليات جديدة للتشكيك في إجراءات الحكومة التي اتخذتها في سيناء.

تريد العمليات النوعية التي تُسقط ضحايا من رجال الجيش قطع الطريق على محاولات زرع الفلوات بالحجر والبشر وفق خطة ترمي إلى تعميمها ونقل نحو خمسة مليون مصري من الوادي وتوطينهم هناك وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم.

تتمثل الخطة ثلاثة أغراض رئيسية، الأول: تكفل المشروعات التنموية بوقف انضمام بعض السكان إلى صفوف التكفيريين، والثاني: كبح أي عدوان عسكري في المستقبل من جانب إسرائيل التي اعتمدت في احتلالها لسيناء سابقاً على قلة سكانها، والثالث: إنهاء إشكالية الفراغ التي أدت إلى تسويق سيناريو قضم مساحة من شمال سيناء وضمها إلى غزة كتعميد لإقامة دولة فلسطينية.

قادت شواغل كثيرة إلى تركيز الحكومة المصرية على سيناء، ومكافحة الإرهاب تبدو الجزء الظاهر فيها بينما هناك أجزاء غاطسة تتكفل الأيام بالكشف عنها تدريجياً، وهو ما يؤكد أن مهمة الجيش المصري في سيناء تتجاوز حدود منع تحويلها إلى ملاذ للتكفيريين، ولذلك فالأمن وحده لن يكفي لدحر الإرهابيين في سيناء بالوأنهم المختلفة.

من الغرب، وعلى مقربة من المجرى الحيوي قناة السويس، كما أن التصاقها الحدودي بكل من إسرائيل وقطاع غزة جعلها بيئة جيدة لجذب الإرهابيين إليها. منذ سقوط نظام الإخوان في مصر قبل حوالي ثمانية أعوام انتقلت الصورة الذهنية عن سيناء من ساحة معارك حقيقية، أو محتملة، مع إسرائيل، إلى ساحة معارك مع تكفيريين ينتمون لتنظيمات مختلفة وجدوا فيها أجواء خصبة لممارسة العنف لإرهاب الدولة المصرية أملاً في إجبارها على تخفيف قبضتها على الإخوان والجماعات المتطرفة التي تدور في فلكها.

بين هاتين الصورتين جرت مياه كثيرة ومرت فترات صعود وهبوط متباينة حتى تم رسم صورة ثالثة لا تقل أهمية، وتعلق بتصدير العنف من غزة إلى سيناء عبر سلسلة طويلة من الاتفاقيات ربطت بين الجانبين اختلطت فيها التجارة بالإرهاب وتحوّلت سيناء إلى ماوى لأنواع عدة من المتشددین دخلوها من فوق الأرض وتحتها.

استثمرت بعض أجهزة المخابرات المتحالفة مع تكفيريين التي تجيد توظيفهم أمنياً وسياسياً ارتفاع مستوى الرخاوة السائدة في سيناء حتى تحولت إلى منغص مؤلم لمصر كان من الضروري التعامل معه بقسوة لأن التهاون يؤدي إلى صعوبة السيطرة على منطقة تمثل أهمية استراتيجية بعد أن تزايدت فيها أعداد الإرهابيين بصورة كبيرة. كانت نزوة تجميعهم قبيل فترة

حكم الإخوان وفي أثنائها، وهي الفترة التي اشتغلت خلالها قوات الجيش والشرطة بتطورات الأوضاع السياسية في الشارع ومنع انفلات مظاهراته عقب النجاح في عزل الجماعة عن الحكم وزيادة وتيرة العنف الذي أدخل سيناء في حلقة أشد دموية فرضت على النظام المصري التعامل معها بطريقة مغايرة.

تستغرق عملية تجفيف منابع وقتاً حيث تراكمت الأخطاء وتشابكت أسبابها، فالتعاطي الأمني وحده لا يكفي لتوفير الاستقرار، لذلك شملت العملية الشاملة المعروفة بـ"سيناء 2018" جملة من الممارسات المكتملة تخص البيئة التي شكلت ملاذاً للتكفيريين والعمل على تقويض العناصر التي أفضت إلى احتضان بعضهم.

في مقدمة الممارسات الالتفات عملياً إلى تغيير البيئة بشكل يقطع كل السبل على من لجأوا إليها كملاذ آمن قد لا تقترب منه قوات الأمن خوفاً من مواجهتها حربياً ضارية، غير أن التطورات أثبتت العكس فقد تحمل الجيش المواجهة وحقق نجاحات كبيرة، واخترق الحصون القوية المتمثلة في تنظيف جبل الحلال بوسط سيناء من الإرهابيين.

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

في كل عملية إرهابية تحدث في سيناء المصرية يتم إلقاء المسؤولية على أجهزة الأمن التي تتعامل منذ سنوات مع تكفيريين لا يزالون يقومون باستهداف عناصر الجيش والشرطة في هذه المنطقة، ما جعل البعض يعتقد أن هناك خلافاً استخبارياً يمكنهم من تنفيذ عملياتهم من وقت إلى آخر. تشير بعض التصرفات الأمنية إلى استمرار سياسة رد الفعل في التعامل مع التكفيريين بما يمنحهم تفوقاً نسبياً جزاء الاستفادة من عنصر المفاجأة، كما يظهرهم نقل عملياتهم من بقعة إلى أخرى مجاورة بأنهم يمتلكون قوة بشرية وتسليحية لن تضرب وقادرة على امتصاص الصدمات التي تعرضوا لها طوال سنوات.

شواغل كثيرة قادت إلى تركيز الحكومة المصرية على سيناء، ومكافحة الإرهاب تبدو الجزء الظاهر فيها وهو ما يؤكد أن مهمة الجيش المصري هناك تتجاوز حدود منع تحويلها إلى ملاذ للتكفيريين

يستطيع دارسو الجغرافيا السياسية لسناة بسهولة فهم أسباب عدم السيطرة التامة على العمليات الإرهابية حتى الآن، والتي لا تخلو منها دول متقدمة، فالبيئة التي ينشط فيها الإرهابيون، وهي قبلية بصورة أساسية، فرخت أعداداً تجعل قوتهم تحافظ على الحد الأدنى لها والمزج أيضاً، كلما أوشكت على الضوب تجد من يمددهم بذخيرة جديدة.

تبدو المسألة معقدة وتلعب فيها مظالم تاريخية ممتدة دوراً مهماً حيث جرى تهميش وسط وشمال سيناء في جهود سابقة والتركيز على جنوبها كمنطقة سياحية ما أوجد ضغائن اجتماعية أسهمت في زيادة استقطاب الإرهابيين لعناصر محلية، ناهيك عن التفاوت الاقتصادي الذي جعل البعض يعمل في تجارة المخدرات والأسلحة وتهريب البشر ورواج الهجرة غير الشرعية، وهؤلاء ربطتهم علاقة قوية بمتطرفين.

تتمتع سيناء بجغرافيا فريدة كانت أحد أسباب ميزتها وكنيتها، وتركيز التكفيريين عليها، فهي تطل على البحرين الأحمر من الجنوب والمتوسط من الشمال، وتطل على خليجي العقبة من الشرق والسويس

